ميكانزمات تجديد العقل السياسي العربي
"قراءة في أطروحات محمد عابد الجابري"

د.بن علي محمد/المركز الجامعي احمد زبانة غليزان

falsafa20@yahoo.fr

ملخص:

تهدف هذه المقالة لتسليط الضوء على فكر محمد عابد الجابري ، الذي يعمل مشروعه الفكري على قراءة نقدية للوضع العربي الحالي، والعقل العربي الإسلامي، لذلك وفي تحليله لمشكلة النهضة وغياب الحداثة السياسية. يصف الجابري الوضع قائلا: أنا أعي تمام الوعي أنه إذا كانت هناك أمة في هذا العصر يحتاج الفكر والثقافة فيها إلى تحرير التفكير في المستقبل من أوهام الماضي وأحلامه ومشاريعه التي لم تتحقق من جهة، وتحرير التفكير في الماضي من ضعف الحاضر ومخاوف المستقبل وأحلامه من جهة أخرى، فهي أمم العالم الثالث، وفي مقدمتها الأمة العربية التي كانت ولا تزال أمة ثقافية بامتياز. علما أن تفحص الجابري للتخلف العربي يختلف عن بقية المفكرين الآخرين، فهو قد اختار طريقا آخر في البحث وهو تفحص آليات العقل التراثي ومحاولة حصرها بتعيينها، للتمكن في نهاية المطاف من محاصرة استمرارها وحضورها في فكرنا المعاصر.

الكلمات المفتاحية :

العقل،العقل العربي الإسلامي، النهضة، الديمقراطية، الحداثة، الحداثة السياسية،

Abstract :

This article aims to shed light on the thought of Muhammad Abed Al-Jabri, whose intellectual Project is based on a critical reading of the current Arab situation and the Arab-Islamic mind, and in his analysis of the problem of renaissance and the absence of political modernity. Al-Jabri's describes the situation as saying: "I am fully aware that if there is a nation in this age, thought and culture need to free the thinking of the future from the illusions of the past and dreams and projects that have not been

realized on the one hand, and free thinking of the past from the weakness of the present and future fears and dreams. , They are the nations of the third world, first and foremost the Arab nation, which was and remains a cultural nation with distinction.

Al-Jabri's examination of Arab backwardness is different from the rest of the other thinkers. He chose another method of research, examining the mechanisms of the rational mind and trying to limit it to its designation, in order to finally be able to besiege its continuity and presence in our contemporary thought.

key words :

Mind, Arab Islamic mind, Renaissance, democracy, modernity, political modernity,

مقدمة:

تنطلق أعمال الجابري[1] الفكرية التي تدافع عن الحداثة[2] كهدف لمشروعه المقترح تنطلق فض الاشتباك والخروج من حالة الإرباك التي صرنا نتخبط فيها منذ أن اصطدمنا بالنموذج الحضاري الغربي، الذي فرض نفسه علينا كنموذج حضاري عالمي، يقوم على مجموعة من المقومات لم تعرفها النماذج الحضارية السابقة.

لقد فرض النموذج الغربي نفسه علينا من خلال وسائل عديدة غير متكافئة، بداية من الهيمنة الاقتصادية وصولا إلى التدخل في الشؤون الداخلية. هكذا وجد العرب أنفسهم أمام مفارقات عديدة، انجرت عنها أسئلة متعددة، تتعلق أساسا بمسألة النهضة والتقدم/ ومسألة العلاقة بالأخر، دون أن تكون لدينا حرية الاختيار بين النموذج الغربي والنموذج التراثي.والنتيجة من كل هذا، أصبحت المجتمعات العربية(

---

[1]) محمد عابد الجابري، مفكر مغربي(1936-2010) حاصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط ، من أهم مؤلفاته:

- العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي –
- مدخل إلى فلسفة العلوم : جزآن
- نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي
- إشكاليات الفكر العربي المعاصر.
- سلسل نقد العقل العربي –
- حوار المغرب والمشرق : حوار مع د. حسن حنفي –
- التراث والحداثة: دراسات ومناقشات..
- المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية، محنة ابن حنبل و نكبة ابن رشد.
- مسألة الهوية : العروبة والإسلام ... والغرب.
- الدين والدولة وتطبيق الشريعة .
- الديموقراطية وحقوق الإنسان.
- العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، .
- الإشراف على نشر جديد لأعمال ابن رشد الأصيلة مع مداخل ومقدمات تحليلية وشروح الخ - - فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال.
- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة.
- تهافت التهافت.
- كتاب الكليات في الطب.
- الضروري في السياسة: مختصر سياسة أفلاطون
- ابن رشد: سيرة وفكر.
- مدخل إلى القرآن

كما حاز محمد عابد الجابري وهو عضو مجلس أمناء المؤسسة العربية للديمقراطية على العديد من الجوائز منها جائزة بغداد للثقافة العربية في العام 1988 والجائزة المغاربية للثقافة بتونس في العام 1999وكذلك جائزة الدراسات الفكرية في العالم العربي في 2005 وميدالية ابن سينا من اليونيسكو بمناسبة اليوم العالمي للفلسفة في 2006.

للمزيد راجع: كمال عبد اللطيف، الفكر الفلسفي في المغرب، قراءات في أعمال العروي والجابري، إفريقيا الشرق،(دط)، المغرب،2003.

2) يرى عبد الإله بلقزيز" أن مفهوم (الحداثة) كما دخل في المجال التداولي العربي، لا يعني مفهومه في الفكر الغربي. إنّ الفوارق بين المفهومين واسعة. فالحداثة Modernité، هي الرؤية الثقافية والفلسفية الجديدة للعالم.

أمّا التحديثModernisation، فهو فاعلية سياسية واجتماعية، تروم تطوير بُنَى المجتمع والسياسة والاقتصاد. بحيث تلائم مستوى التحوّلات الطارئة على صعيد الزمان والمكان والعلاقات الاجتماعية والحاجات.وهنا يتعلّق الأمر بسياسات و إجراءات مُخطّط لها تحقّقها الدولة": حوار مع د.عبد الله بلقزيز حول :كونية الحداثة و نسبيَّتها –أجرت الحوار: رشا الجديدي ،المغرب نقلا عن موقع:http://tareekelnajeh.blogspot.com/2009/02/blog-post_2409.html تاريخ الزيارة 2011/10/10

والشعوب المستعمَرَة كلها)، تعيش حالة تململ، فإلى جانب البنى الوافدة من الغرب، بقيت البنى الموروثة من ماضينا تحتفظ بوجودها وتأثيرها، في بنية العقل العربي[3]. **والإشكالية التي تطح هنا هي:كيف سيؤسس الجابري لمعالم توطين الحداثة السياسية في الواقع العربي الإسلامي؟**

– المطلب الأول: مشروع الجابري لتوطين الحداثة السياسية.

انطلاقا من هذا الواقع الملَغَمْ سوف تتبلور رؤية الجابري ومشروعه النقدي، مشروع يبحث في سؤال النهضة انطلاقا من البحث في ميكانزمات النهضة، انطلاقا من نقد الحاضر والماضي، لا من أجل التنكر له، بل من اجل توظيفه لمصلحة النهضة.

إن نقد التراث ونقد آليات الفكر[4] السائد في الثقافة العربية – الإسلامية، وتشريح وضعية التأخر الشامل في مجتمعاتنا تقتضي مواجه الذهنيات المتصلبة، وذلك باستعمال المنهج النقدي من أجل الإسهام في تفتيت نواتها الصلبة، المتمثلة في الآليات الموروثة في فكر، علما أن تفحص الجابري للتخلف العربي يختلف عن بقية المفكرين الآخرين، فهو قد اختار طريقا آخر في البحث وهو تفحص آليات العقل التراثي ومحاولة حصرها بتعيينها، للتمكن في نهاية المطاف من محاصرة استمرارها وحضورها في فكرنا المعاصر.

قبل الخوض في هذه المسألة نقرأ للجابري وهو يحدد معالم مشروعه النهضوي قائلا: أنا أعي تمام الوعي أنه إذا كانت هناك أمة في هذا العصر يحتاج الفكر والثقافة فيها إلى تحرير التفكير في المستقبل من أوهام الماضي وأحلامه ومشاريعه التي لم تتحقق من جهة، وتحرير التفكير في الماضي من ضعف الحاضر ومخاوف المستقبل وأحلامه من جهة أخرى، فهي أمم العالم الثالث، وفي مقدمتها الأمة العربية التي كانت ولا تزال أمة ثقافية بامتياز[5].

يرى الجابري أن الأحداث التاريخية التي عاشها العالم العربي طيلة القرن الماضي تركت" آثارا لا حصر لها: بعضها مصدره التحدي الحضاري الغربي الذي أيقظنا من سباتنا ..والذي ربَطَنا به متخذا من نفسه "مركزا" ومنا "محيطا" أو جزءا من المحيط. وبعضها الآخر مصدره رد فعلنا على ذلك التحدي، رد الفعل الذي لجأنا فيه إلى جعل "الماضي" –ماضينا نحن– "مركزا" للتاريخ كله، والباقي "محيط". لقد كانت المائة سنة الماضية بمثابة "عصر تدوين" آخر رسمنا خلاله في وعينا، وبكيفية سيئة جدا، صورة للماضي والمستقبل، لـ"نحن" و"الآخر"، رسمناها

---

3) في تحديده لمفهوم **العقل العربي**، يقول الجابري:انه ليس شيئا أخر غير هذا الفكر، بوصفه أداة للإنتاج النظري، صنعتها ثقافة معينة لها خصوصياتها، هي الثقافة العربية بالذات، الثقافة التي تحمل معها تاريخ العرب الحضاري العام وتعكس واقعهم أو تعبر عنه وعن طموحاتهم المستقبلية كما تحمل وتعكس وتعبر، في ذات الوقت، عن عوائق تقدمهم وأسباب تخلفهم الراهن.انظر:**محمد عابد الجابري**، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط10،2009،ص13وما بعدها.

4) تجدر الإشارة إلى إن الجابري وظّف شبكة من المفاهيم استعار بعضها من الفكر الغربي وعمل على توظيفها ودمجها في منهجيته النقدية بعد تبيئتها لتلائم المقروء التراثي، وهذا كله من أجل عرض التصورات التي تؤطر العقل السياسي في الثقافة العربية الإسلامية, للوصول لنقد العقل السياسي العربي الراهن، فأخذ مفهوم اللاشعور السياسي من "ريجيس دوبرية"، ومفهوم المجال السياسي من "برتراند بادي"، والتحليل المادي للتاريخ من "ماركس"، ومفهوم المادية التاريخية من "جورج لوكاتش"، ومن الانتروبولوجيا اخذ مفهومي البنية الفوقية والتحتية، التي دعّمها بحفريات "مشال فوكو"....الخ وفي مقابل ذلك استند لأعمال ، ابن رشد وابن خلدون،من التراث العربي الإسلامي.**انظر**: محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، ص15 وما بعدها

5) محمد عابد الجابري، الماضي والمستقبل... أيهما يحكم الآخر؟
نقلا عن: http://www.aljabriabed.net/n52_01jab_pass.htm#_ednref4

منفعلين لا فاعلين، يقودنا "عقل" غير واع بذاته، عقل تائه يبحث عن تمتين علاقته بـ"عقل" الماضي، بدل أن يعمل على تدشين قطيعة معه، ويحاول ربط نفسه بـ "عقل" العصر، بدل أن يكون هو نفسه إحدى تجليات هذا العصر.

يتميز الخطاب العربي الحديث والمعاصر في نظر الجابري بميزة: الركون دوما إلى نموذج سلف (من التراث العربي أو من الفكر الغربي)، واعتماد القياس الفقهي الذي يقوم على رد الفرع إلى الأصل، وبالتالي قياس الحاضر والمستقبل على الماضي[6]، والتوظيف الإيديولوجي للتغطية على النقص المعرفي، والتعامل مع الممكنات الذهنية كمعطيات واقعية، إن هي إلا عناصر في شبكة الآثار التي خلفتها فينا صيرورتنا العامة الطويلة منذ انبثاق "العقل العربي". أي منذ "عصر التدوين"، عصر البناء الثقافي العربي العام الذي شهدته الثقافة العربية ابتداء من القرن الثاني للهجرة. فإلى هذه "الشبكة" من الآثار يجب أن نتجه الآن بالتحليل والفحص والنقد. إن الحاجة تدعو اليوم، أكثر من أي وقت مضى، إلى تدشين "عصر تدوين" جديد تكون نقطة البداية فيه نقد السلاح... نقد العقل العربي[7].

أما بلاد الإسلام فلم تعرف هذه التحولات في ماضيها ، فالعقل العربي– في نظر الجابري– حكمته ثلاثة أنظمة معرفية(بيان، برهان، عرفان) حددت وجهته، فأصبح يفكر بواسطتها ومن داخلها، فلم يعرف تلك القطائع التي حدثت في الفكر الغربي.

العقل العربي في نظر الجابري، عقل فقهي منغلق على نفسه في لحظة زمنية تعيش على استعادة آليات الماضي. ومن هنا يدعو إلي" إعادة بناء الفكر السياسي في الإسلام، وإعادة تأصيل الأصول التي تؤسس النموذج الذي يمكن استخلاصه من مرحلة الدعوة المحمدية"[8]، وهذا كله لتجاوز ما يسميه الجابري بالثغرات السياسية التي حدثت زمن خلافة عثمان، ومنها: عدم تحديد طريقة مضبوطة لاختيار الخليفة، وعدم تحديد ولايته، وصلاحياته.

ينطلق الجابري في مشروعه من نقد التراث ونقد آليات الفكر السائد في الثقافة العربية –الإسلامية ، معتبرا بأن معركة التأخر الشامل في مجتمعاتنا تقتضي مواجه الذهنيات المتصلبة، وذلك باستعمال المنهج النقدي، من أجل الإسهام في تفتيت نواتها الصلبة، المتمثلة في الآليات الموروثة في فكر. علما أن تفحص الجابري للتخلف العربي يختلف عن بقية المفكرين الآخرين، فهو قد اختار طريقا آخر في البحث، وهو تفحص آليات العقل التراثي[9] ومحاولة حصرها بتعيينها، للتمكن في نهاية المطاف من محاصرة استمرارها وحضورها في فكرنا المعاصر.

---

[6]) **انظر:** محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبان،ط1994،5،ص202 ومابعدها.

6) محمد عابد الجابري، الماضي والمستقبل... أيهما يحكم الآخر؟

[8]) محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبان،ط2000،4،ص372

9) في معنى **التراث**، يقول ابن منظور: التُّراثُ ما يخلفه الرجل لورثته. ويقال ورثت فلان مالا ارثه وِرْثا ووَرْثاً إذا مات مورِّثُكَ.**انظر**، مادة: **ورث**.

وهنا نرى أن المعنى اللغوي الذي أورده ابن منظور لا يختلف كثيرا عن الاستعمال المعاصر لكلمة التراث، حتى وان توسع استعمالها خارج نطاق الميراث.

في حين يرى الجابري ان" لفظ التراث في الفكر العربي المعاصر قد اكتسب معنى مختلفا إن لم يكن مناقضا لمعنى" المراث"، ذلك انه تعدى مجرد التركة التي يتركها الميت لورثته ليصبح مقترنا بما هو مشترك بين العرب اليوم، أي تلك التركة الفكرية و الروحية التي تجمع بينهم جمعا خلفا لسلف، وهكذا فإذا كان الإرث أو الميراث، هو عنوان اختفاء الأب وحلول الابن محله، فان الميراث قد أصبح، بالنسبة للوعي العربي المعاصر، عنوانا على حضور الأب في الابن، حضور السلف في الخلف، حضور الماضي في الحاضر...ذلك هو المضمون، الحي في النفوس، الحاضر في الوعي.**انظر: محمد عابد الجابري، التراث والحداثة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبان،ط1991،1،ص24

إن إعادة بناء الفكر السياسي الإسلامي يجب أن تنطلق في نظر الجابري من مسلمة أساسية وهي ، انه ليس هناك نظام حكم معين شرّع له الإسلام، " وإنما قام مع تطور الدعوة المحمدية ". ينتج عن هذا القول، أن آراء من كتبوا في الفكر السياسي الإسلامي ليست ملزمة لنا في شيء." إن آراء الماوردي وغيره من المتكلمين والفقهاء ليست ملزمة لنا لأنها مجرد آراء سياسية أملتها ظروف سياسية معينة. إنها آراء أدلى بها فقهاء مسلمون ضمن سياق تطور الحضارة الإسلامية...(وهي) لا تمثل، وحدها رأي الإسلام".[10]

المطلب الثالث: محددات العقل السياسي العربي وآليات تجديده

إن تحقيق الفاعلية والسماح للعقل السياسي العربي بولوج حاضرة الحداثة السياسية ، ليس بالأمر الهين في نظر الجابري، لأن هذا الأخير محكوم أساسا بمحددات عملت ولمدة طويلة على توجيه نقلاته، والمحددات المقصودة هنا هي ما أشار إليه الجابري ب:

– **القبيلة**:وهي مصطلح استمده الجابري أول الأمر من ابن خلدون الذي عبر عنه بمفهوم "العصبية"، في دراسته للمجتمعات العربية الإسلامية، ومن علماء الانتروبولوجيا الغربيين عند دراستهم للمجتمعات البدائية. والقبيلة – فيما يرى الجابري– لا تخرج في وقتنا الحاضر عن مدلول" العشائرية" وذوي القربى، الذي يوَّظف في إدارة شؤون الحكم والسلطة،في البلدان العربية، بدلا من الاعتماد على ذوي الخبرة ممن يتمتعون بثقة الناس واحترامهم. القرابة هنا لا تنحصر في قرابة الدم وحدها، بل تتسع حسب الجابري لتتشبع بالشحنة العصبية، مثل جهة الانتماء للجهة أو الطائفة أو الحزب[11]

–**الغنيمة**: يقصد بها الدور الذي يلعبه العامل الاقتصادي في الفعل السياسي داخل المجتمعات العربية، والطرق التي يتم بها صرف المداخيل، سواء كانت ناتجة عن "الخراج أو الريع"، وعلاقة ذلك ببروز العقلية "الريعية" المتعارضة مع العقلية الإنتاجية. فبنما ترى هذه الأخيرة أن" العائد أو الكسب هو نتيجة لعمل إنساني منظم، وكجزاء على الجهد...في تصور متكامل للنظام الإنتاجي. ترى العقلية الريعية في العائد أو المكسب، رزقا أو حظا أو صدقة...يرتبط بالظروف أو القدر وليس حلقة في عملية إنتاجية[12]

–**العقيدة**: يقصد بها الدور الذي تلعبه العقائد– سواء كانت وحي أو ايدولوجيا يشيّدها العقل– في تحريك العقل السياسي، القائم على الاعتقاد وليس على البرهان،" فالمهم في كل عقيدة، عندما يتعلق الأمر بالحياة الاجتماعية والسياسية، ليس ما تقرره من حقائق ومعارف، بل المهم هو قوتها وقدرتها على التحريك، تحريك الأفراد والجماعات و تأطيرهم داخل ما يشبه" القبيلة الروحية" [13]

وعليه يصبح تجديد المحددات السابقة، شرط للارتقاء للمستوى الذي يستجيب لمتطلبات النهضة والتقدم، تجديد لا يتم في نظر الجابري إلاّ ب" العمل من أجل النفي التاريخي لها، وذلك بإحلال البدائل التاريخية المعاصرة".نفي لا يتم إلا بعملية نقدية تستهدف حاضر العقل

) محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، ص10372

11) المرجع نفسه ، ص48

12)المرجع نفسه ، ص50

13) محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي ، ص51

العربي وماضيه، لأن الماضي والحاضر عندنا لا ينفصلان، إن على صعيد وعيينا أو على صعيد واقعنا[14]. هذا رغم إقرار الجابري بأن الحداثة السياسية قد دخلت بعض جوانب حياتنا منذ أكثر من قرن إلا أنه يرى أن" القبيلة والغنيمة والعقيدة، محددات ثلاثة حكمت وهيمنت على حركية العقل العربي في الماضي، وما زالت تحكمه بصورة أو بأخرى في الحاضر.

لقد كان الطموح النهضوي العربي يرمي أساسا إلى تجاوز تلك المحددات الموروثة، من الوضع الاجتماعي القديم، وإقرار محددات جديدة عصرية[15]، غير أن ذلك لم يحدث في نظر الجابري، نتيجة لتداخل عوامل كثير، خارجية كالغزو الاستعماري، وداخلية كفشلنا في استلهام المعنى الحقيقي للحداثة واكتفائنا بالانخراط في قشورها فقط[16]، فكانت النتيجة بقاؤنا في تخبط مستمر، عادت معه وبقوة مفاعيل المحددات المذكورة إلى الساحة العربية.

لذلك ومن أجل تحقيق حداثة سياسية فعلية، ينبغي القيام بثورة نقدية للواقع العربي من جميع جوانبه، ثورة تتجاوز المحددات الموروثة من الوضع الاجتماعي القديم إلى محددات جديدة معاصرة، وفق إيديولوجيا عربية تنطلق من الواقع العربي وتعمل على تفسيره[17].خاصة مع عودة المحددات السابقة لساحة الشعور السياسي و السيطرة على مشاهده،حيث صار حاضرنا يعيش صورة مشابهة لماضيه، فالقبيلة عادت لاحتلال مركز الصدارة في المشهد السياسي، والاقتصاد لم يبرح نزوعه "الريعي" القائمة على ثقافة "الغنيمة"، وانقلب الفكر إلى عقيدة طائفية ضيّقة. من اجل هذا كله يقترح الجابري خوض معركة تجديد العقل السياسي العربي بالارتكاز على[18]:

- **تحويل القبيلة في مجتمعاتنا العربي** إلى تنظيم مدني سياسي اجتماعي حديث، أحزاب نقابات مجتمع مدني، جمعيات حرة...الخ. وبعبارة أخرى يدعو الجابري إلى تحويل مجتمع القبيلة إلى مجتمع فيه تمايز واضح بين المجتمع السياسي و المجتمع المدني.[19]
- **تحويل الغنيمة إلى ضريبة** والاقتصاد الاستهلاكي إلى اقتصاد إنتاجي، لأن الاقتصاد الإنتاجي سمته أن المنتج يدفع الضريبة....ومن هذا المنطلق يصبح له الحق في مراقبة صرف هذه الضرائب.كما كان عليه الشأن في بدايات النهضة الأوربية. عكس ما هو عليه الاقتصاد العربي المبني –نظر الجابري– علي الريع في كل جوانبه.
- **تحويل العقيدة إلى رأي:** بدلا من التفكير المذهبي الطائفي المتعصب، الذي يدّعي امتلاك الحقيقة، يجب فسح المجال لحرية التفكير، وبالتالي التحرر من سلطة الجماعة المغلقة، دينية كانت أو حزبية[20].

) المرجع نفسه،ص 373[14]

) المرجع نفسه،ص 373[15]

16) هنا يشير الجابري إلى مفارقة غريبة يعيشها الفكر العربي، وهي انه في الوقت الذي شكّل فيه العالم الإسلامي في القرون الوسطى عامل محفز لأوربا من حيث انه كان يمثل نوعا من التهديد الخارجي. كان العامل الخارجي (الغرب) وراء تقهقر الأوضاع في العالم العربي أو على الأقل جمودها ضمن نموذج يكرر نفسه باستمرار، انطلاقا من الغزو المدمر وصولا لصدمة الحداثة.للمزيد انظر: محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص19

17)محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبان، ط2،1990، ص181

) المرجع نفسه،ص 374[18]

19) محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص182

ومن هنا يصبح الولوج إلى ميدان الحداثة السياسية يمرّ حتما بما ذكرنا"، وبدون ممارسة هذا النقد العلمي سيبقى الحديث عن الحداثة السياسية والتقدم، مجرد أماني وأحلام.

إن تحديد طريقة ممارسة الشورى بالانتخاب الديمقراطي الحر، وتحديد مدة الولاية، مع إسناد مهما السلطة التنفيذية لحكومات مسؤولية أمام البرلمان، وتحديد صلاحيات رئيس الدولة والحكومة، وجعل مجلس الأمة مصدرا للتشريعات، شروط لابد منها لولوج الحداثة السياسية.

أما فشل هذه التحولات السياسية في العالم العربي الآن فمرده حسب الجابري فشل النخب العربية في استراد الحداثة السياسية الغربية وغرسها في أوطانهم، فالمجال السياسي العربي مازال يهيمن عليه الأمير(الحاكم) ويسيطر عليه الدين، كما كان في العصور الوسطى، وهذا ما يفسر في نظره كون الحركات الاحتجاجية التي يشهدها العالم العربي موجه كلها ضد الأمير وضد النخب وحكوماتها، "لأنه وأمام فشل جميع الاديولوجيات المنقولة لم يبقى أمام الجماهير إلا الإسلام ولم يبقى أمام الدعاة من وسيلة لتعبئة الجماهير غير الإسلام".

عند تناوله للمسألة السياسية–وهي مسألة لصيقة بالشأن الإنساني–في الفكر العربي–الإسلامي، يرى الجابري أنه لا حلّ لأزماتنا إلا بتبني خيار" الديمقراطية السياسية، التي ورغم عيوبها تظل ضرورة قومية، ذلك لأنه ليس هناك من طريق لتحقيق الوحدة العربية، سواء في ادني صورها أو في أعلى مراحلها، غير طريقين: طريق القوة وطريق الإرادة الحرة،...طريق الجيش أو طريق التعبير الديمقراطي الحر[21]. وما دامت الدولة القطرية(هنا لا يميز الجابري بين الدول النفطية والغير نفطية) أصبحت تعاني، وأصبحت غير قادرة على مسايرة التطويرات الجارية من حولها، وجب تبني خيار الديمقراطية السياسية لحل مشكل التعددية في الوطن العربي سواء على المستوى الديني– مع بروز ظاهرة التطرف الديني و التعصب المذهبي الطائفي، أو على مستوى التنوع الاجتماعي، مع تنامي مشكلة الأقليات في البلدان العربية التي فيها أقليات– إلا بالديمقراطية[22]، فالهدف المباشر من الديمقراطية هو إيجاد أحسن صيغة ممكنة لحل مشكلة الحكم، وذلك بجعل الحاكمين خاضعين لإرادة المحكومين، أو مضطرين للخضوع لها، خضوعا منظما مقننا، تسهر عليه وتجعله فعليا أجهزة ومؤسسات تنتخب انتخاب حرا من طرف جميع أفراد الشعب البالغين سن الرشد**23**.

بهذه الآلية يرى الجابري أننا قادرين على إحداث انقلاب في منظومة الوضع العربي بمختلف مظاهره، ليس كما هو الآن وحسب، بل كما كان خلال جميع المراحل التاريخية التي قامت فيها دول وإمارات وإمبراطوريات على أساس طابع حكم فردي ،فالحاكم في التاريخ الإسلامي

---

20) المرجع والمكان نفسه.

21) محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص163

21) الجابري محمد عابد، سلسلة مواقف، ع17، دار النشر المغربية، ادتما، ط1، 2003، ص92. انظر كذلك: محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص162

22) الجابري محمد عابد، الديمقراطية وحقوق الإنسان ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، ط3، ط،2004 ص57.

سواء كان خليفة أو ملك أو أمير، كان حاكما فردا لا يقبل الشريك، سواء تولى الحكم عن طريق "الرضى"أم عن طريق القوة والغلبة، وهذا هو السائد.في حين أن الديمقراطية في جوهرها ليست شيئا أخر غير المشاركة في الحكم أو ما يسميه الجابري (الشرك في الحكم)[24].

ومن هذا يرى أن أول خطوة في البناء الديمقراطي، هي أن نؤمن بضرورة قيام الشريك في الحكم والسياسية، وإلاّ فإننا لا نستطيع أن نعطي للديمقراطية معنى ولا لمضمونها أبعاد فكرية واجتماعية واضحة. ومن جملة مظاهر الانقلاب التاريخي الذي يأمل الجابري إحداثه في وطننا العربي، انقلاب على صعيد الفكر والمعتقد، انقلاب يستهدف تغيير ذهنية الإنسان العربي، حتى يصبح قابل لممارسة الديمقراطية ممارسة حقيقة .

المطلب الرابع: الممارسة الديمقراطية شرط لترسيخ الحداثة السياسية.

إن الديمقراطية هي اليوم الإطار العام الذي يجري فيه الصراع التاريخي، فكل الطبقات وجميع الفئات المتصارعة تعمل اليوم على خوض الصراع من أجل فرض مصالحها بالوسائل التي تدخل في إطار الديمقراطية. وكثير منها وسائل ذات حدين: كالعولمة والمعلوميات والاتصالات الخ.

إن الانتقال إلى الديمقراطية لن يكون له مضمونه التاريخي الحق في نظر الجابري، إلا إذا كان يعني تدشين قطيعة نهائية مع دولة ابن رشد ودولة ابن خلدون، لأن العقل السياسي العربي ما يزال يقع ضمن أفقهما، وغني عن البيان القول: "إن طموحنا الديمقراطي سيكون متخلفا عن عصرنا إن لم نضعه خارج أفقهما"، لأن "المدينة الديمقراطية" التي تعني دولة المؤسسات التي ينتخبها الشعب، بوصفه مصدر السلطات كانت تقع خارج أفق تفكيرهما، خارج مجال المفكر فيه خلال القرون الوسطى. لكن هل نفهم من هذا أن الجابري يدعو إلى قطيعة مع هذا التركيب– ابن رشد– ابن خلدون؟

الأمر ليس كذلك بالنسبة له" فالمطلوب ليس القضاء على التركيب بالمرة...وإنما المطلوب هو صب التركيب في مؤسسات يحكمها التعبير الديمقراطي الحر، وهو ما كان غائبا عن أفق ابن رشد وابن خلدون.

إن الممارسة الديمقراطية ضرورية تاريخية فيما يرى الجابري.لأنها وحدها القادرة على مأسسة وقولبة عملية التحول الكبرى.إن التعبير الديمقراطي الحر والاعتراف بالاختلاف والتغاير إضافة إلى تداول السلطة، هي الشروط الضرورية التي تضمن—أو على الأقل– تساعد على تصريف الحركة والصراع داخل عملية التحول تصريفا سلميا، وبالتالي تفسح المجال لقيام مؤسسات المجتمع المدني من أحزاب وجمعيات ونقابات ومجالس منتخبة. ورغم الخطورة التي قد تنجرّ عن هذا التحول إلا أن الجابري يرى أن الديمقراطية ورغم" تؤدي إلى قيام صراعات، ولكنها صراعات أفقية أي طبقة ضد أخرى والنتيجة في مثل هذا الصراع ظهور الجديد من جوف القديم، والوصول إلى نتائج جديدة،

23) المرجع والصفحة نفسها

وبالتالي تحقيق تقدم.أما غياب الديمقراطية فهو يؤدي إلى صراع يدمر المؤسسات التي تأطر الصراع والحركة والتحول داخل المجتمع في اتجاه التقدم التاريخي.

يرى الجابري أن أي انتقال يجب أن يتحدد وفق الأسئلة التالية: **من أين؟ وإلى أين؟ وكيف؟**[25]

- **من أين؟" من خلال معرفة وضعية الانطلاق**
  - **"كيف ؟"تحديد آليات الانتقال.**
  - **إلى أين؟ تحديد وجهة الانتقال.**

كان الهدف من وراء طرح هذه الأسئلة يكمن في تمهيد الطريف أمام الطرح الديمقراطي، خاصة عندما نضع "الديمقراطية" كمطلب يلخص حاجاتنا في الظرف الراهن".رغم أن الجابري لا يرى في هذا الطلب نفي لسابقه(الاشتراكية). بل يدعو إلى تزاوجها لإنجاح مشروع التجديد العربي" وقد انتهينا إلى أن هذا المطلب لا يلغي المطلب السابق الذي كان يعبر عنه شعار "الاشتراكية"، بل يحتويه احتواء الشكل للمضمون... إن هذا الترابط بين الديمقراطية كأسلوب للحكم والتغيير والتجديد وبين الاشتراكية كنظام للعدالة الاجتماعية هو ما يشكل مسار العصر للبشرية جمعاء في المرحلة الراهنة من تطورها. إنه المسار الذي بدأ يتبلور بوصفه الوجه الإيجابي لما يسمى بـ" العولمة[26]".

إن المسألة الديمقراطية في الوطن العربي–الإسلامي مرتبطة في نظر الجابري بواقعنا المعاش، ولذلك لا يمكن طرحها طرحا جديا وبنّاء إلاّ من خلال النظر إليها في ضوء المحاولات والتجارب والمعطيات التي يزخر بها،لأن التنظير للديمقراطية بالهروب من الواقع وبالقفز عليه عملية عديمة الجدوى، من هذا المنظور الواقعي يطرح الجابري رأيه فيما يخص أسس البناء الديمقراطي السليم وهي:[27]

أ)–حقوق الإنسان في الحرية والمساواة وما يتفرع عنهما، كالحق في الحريات الديمقراطية، والحق في الشغل وتكافؤ الفرص.

ب)–دولة المؤسسات، وهي دولة التي يقوم كيانها على مؤسسات سياسة ومدنية، تعلو على الأفراد مهما كانت مراتبهم وانتماءاتهم العرقية والدنية والحزبية

---

24) http://www.aljabriabed.net/n31_01jabri.htm محمد عابد الجابري، الانتقال إلى الديمقراطية في المغرب: أسئلة وآفاق، نقلا عن:

25) يعرّف محمد عابد الجابري العولمة بقوله:" العولمة في معناها اللغوي تعميم الشئ وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، وهي تعني الآن في المجال السياسي منظورًا إليه من زاوية الجغرافية "الجيوبولتيك "العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدًا بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع، ليست العولمة بمجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي بل إنها أيضا وبالدرجة الأولى دعوة إلى تبني نموذج معين، وبعبارة أخرى فالعولمة إلى جانب أنها تعكس مظهرًا أساسيًا من مظاهر التطور الحضاري الذي يعيشه عصرنا، هي أيضا إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته"= الجابري محمد عابد،**العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات**،ضمن:كتاب العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة،الكتاب الثاني،إشراف،محمد عابد الجابري، بيروت،الشبكة العربية للأبحاث النشر، ط2009،1، ص30

"مفهوم العولمة يتمفصل في مستويات ثلاثة متداخلة هي :الاقتصاد والسياسة والثقافة . أما في المجال الاقتصاد، فالعولمة هي الاقتصاديات العالمية المفتوحة على بعضها وهي أيديولوجيا ومفاهيم الليبرالية الجديدة التي تدعو الى تعميم ا لاقتصاد والتبادل الحر كنموذج مرجعي، والى قيم المنافسة والإنتاجية، وفي السياسة هي الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية والليبرالية السياسية وحقوق الإنسان والحريات الفردية. عتريسي طلال،**العرب والعولمة** ،"بحوث ومناقشات الندوة الفكرية"، بيروت،مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1 ،1998، ص44

26) الجابري محمد عابد، الديمقراطية وحقوق الإنسان ، ص86

ج)–تداول السلطة داخل هذه المؤسسات بين القوى السياسية المتعددة، على أساس حكم الأغلبية مع حفظ حقوق الأقلية .

د)– إبعاد الدين عن التوظيف السياسي: "فتوظيف الدين في السياسة في رأي الجابري إنما يلجا إليه العقل السياسي للجماعة، عندما لا يكون من مصلحتها التعبير عن قضيتها الاجتماعية والاقتصادية تعبيرا صريحا...نتيجة عدم بلوغها مستوى من التطور يجعلها قادرة على طرح قضيتها طرحا مكشوفا"[28].

إن الانتقال إلى الديمقراطية الذي يتحدث عنه الجابري، "انتقال من دولة لا تحترم فيها حقوق الإنسان بمعناها الواسع، ولا يقوم كيانها على مؤسسات تعلو على الأفراد والجماعات، ولا تتداول فيها

السلطة على أساس الأغلبية السياسية....إلى دولة يقوم كيانها على هذه الأركان الثلاثة[29]، فالديمقراطية تقتضي، أولا وقبل كل شيء احترام حقوق الإنسان، حقوقه الديمقراطية، أولا كحرية التعبير، وحرية إنشاء الجمعيات والأحزاب وحرية التنقل، والحق في الشغل وفي المساواة والعدل ودفع الظلم...الخ وهذه الحقوق الديمقراطية لا تقبل التأجيل ولا التفويت[30]، لأن حقوق الإنسان بالمعنى المعاصر – قد غدت تشمل الحق في التنمية بمعناها الشامل، رغم أنها لم تكن من "المفكر فيه "في العصور السابقة،لا في الحضارة العربية الإسلامية ولا في غيرها من الحضارات، ذلك لأنها وليدة التطور الاقتصادي الاجتماعي، السياسي الثقافي الذي بلغته الحضارة الأوروبية الحديثة في القرن الثامن عشر و ما بعد.

في هذه النقطة يرى الجابري أن العناية بقضية حقوق الإنسان في الوطن العربي والعالم الإسلامي يجب أن تجعل من مهامها الإنسان كما يقرره القرآن والحديث، دون أن تكون هذه الرؤية دعوة للانغلاق على اللذات، فعملية التأصيل الثقافي لحقوق الإنسان في فكرنا العربي المعاصر، يجب أن تستهدف إيقاظ الوعي بعالمية حقوق الإنسان داخل ثقافتنا، وذلك بإبراز عالمية الأسس النظرية التي تقوم عليها، والتي لا تختلف جوهريا عن الأسس النظرية التي قامت عليها حقوق الإنسان في الثقافة الغربية –يقول الجابري–كونها تقوم على فلسفية واحدة.

أما الاختلافات فهي لا تعتبر عن "ثوابت ثقافية "إنما ترجع إلى اختلاف "أسباب النزول". أما المقاصد والأهداف فهي واحدة والرجوع إلى "أسباب النزول "بمعنى الوسع إلى الظروف العامة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية ، التي جعلت موقف هذا المشرع أو ذاك من هذه القضية أو تلك على ما هو عليه، أمر "ضروري "وأكيد لفهم المعقولية تؤسس ذلك الموقف[31]، فهذه الحقوق (الحق في الحياة وفي التمتع بها، وفي حرية الاعتقاد، وفي المعرفة، وفي الاختلاف، وفي الشورى، والمساواة والعدل، إضافة إلى حقوق المستضعفين)هي الحقوق

27) محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 118.

28) الجابري محمد عابد، الديمقراطية وحقوق الإنسان، ص86،87

29) المرجع نفسه، ص104،105

30) المرجع نفسه، ص143

الأساسية التي من دون توافرها وتمتع الناس بها لا يمكن تطبيق الحدود الشرعية تطبيقا لا لبس فيه. ذلك أنه من دون القضاء على الفقر والجهل والظلم، ظلم الحكام وظلم الأقوياء ستبقى الحدود مرتعا للشبهات[32].

تلكم هي بعض ملامح شروط توطين الحداثة السياسية عند الجابري، ملامح حملتها ثنايا مختلف مؤلفاته، رغم إقراره بان توطين الديمقراطية السياسية على النط الليبرالية الغربي، ليست بالأمر الهيّن في المجتمعات المتخلفة، إلا انه ورغم ذلك يرى أنها- أي الديمقراطية- اسلم الطرق لاحتواء جميع إشكال التعصب الديني و الإثني[33] وسواء كنا نتفق أو نختلف في رؤيتنا معه، يبقى جهد فاتحة لجهد جديد كما قال هو في نهاية مؤلفه، حول العقل السياسي العربي.

خاتمة:

إن عملية التفاعل الحضاري، التي تمت بين الفكر العربي والقيم الغربية الحديثة، أو بين الثقافة الغربية المهيمنة والثقافة المحلية المستتبعة، عملية أدت إلى حالة من القطيعة مع الذات، وإلحاق هذه الذات الثقافية بالآخر المهيمن، في نوع من علاقة السيد بالعبد والتابع بالمتبوع، ذلك أن هذا الاتصال لم يكن قائمًا على أساس من التفاعل الثقافي بين متكافئيْن، بالمعنى النفسي والمعرفي، وإنما على أساس من التلقي والتبني والانقياد، الذي يبديه المغلوب اتجاه الغالب، تصديقا لمقولة ابن خلدون في مقدمته.

لقد تعرف العرب، على منظومة مكتملة، في المرحلة الأخيرة من مراحل التطور الليبرالي، تعرفوا على ليبرالية تحمل في طياتها آثار المراحل السابقة، بعبارة أخرى، إن العرب تعرفوا على ليبرالية، ورثت روح الفلسفة الغربية الحديثة، وروح الثورة الفرنسية،...وكان من الصعب عليهم أن يتلقوها بعقل ناقد.[34] وهذا ما حاول الجابري التصدي له في مشروعه النقدي، بعد إدراكه أن الفكر العربي لم يستطع إعطاء مضمون محدد لمفهوم نهضته ، فقد بقي هذا الخطاب يستقي محددات مشروعه المنشود، لا من الواقع وحركته وآفاق تغييره أو اتجاه تطوره، بل من الإحساس بالفارق، إحساس الوعي العربي بالمسافة بين واقع الانحطاط في الحياة المعاصرة، وواقع التقدم في العالم الأوروبي[35]، وعليه لم يستطع هذا الخطاب التقدم ولو خطوة واحدة على جميع الأصعدة، وظل يتأرجح بين سلطة النموذجين العربي الإسلامي والأوروبي المعاصر.

ومن هنا كانت دعوته لتبني مشروع جديد يجعل من الممكن حقيقة- خاصة على الصعيد السياسي،لأن المجال السياسي في العالم العربي يعتبر في نظر الجابري مفتاح كل تغيير، وما لم تحدث خلخلة لبنية هذا المجال وفق اطر نقدية واضحة فلن تحدث الوثبة المنتظرة.

---

31) المرجع نفسه، ص260

[33]) محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص162

[34]) عبد الله العروي،مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، المغرب،لبنان،ط2008،4، ص 53.

[35]) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبان،ط1994،5، ص196

مراجع البحث:

1- ابن منظور ، لسان العرب، مادة: **ورث**

2- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبان،ط4،2000.

3- ـــ **التراث والحداثة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبان،ط1،1991.

4- ـ إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبان، ط2،1990.

5- ـ سلسلة مواقف، ع17، دار النشر المغربية، اديما، ط1، 2003.

6- ـ الديمقراطية وحقوق الإنسان ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، ط3، ط،2004

7- ـ**العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات**،ضمن:كتاب العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة،الكتاب الثاني،إشراف،محمد عابد الجابري، بيروت،الشبكة العربية للأبحاث النشر، ط1،2009.

8- ـ الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

9- ـ الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبان،ط5،1994.

10- عبد الله العروي،مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، المغرب،لبنان،ط4،2008.

مواقع الكترونية:

1 – محمد عابد الجابري، الانتقال إلى الديمقراطية في المغرب: أسئلة وآفاق، نقلا عن:

http://www.aljabriabed.net/n31_01jabri.htm

2 – محمد عابد الجابري، الماضي والمستقبل... أيهما يحكم الآخر؟

نقلا عن: http://www.aljabriabed.net/n52_01jab_pass.htm#_ednref4